

دوتيس

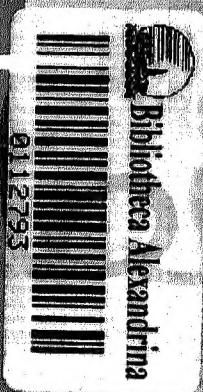


نداؤلى

«صياغة نهائية»



دار الآداب



قصائد اولی

قصاصد أولس

١٩٢٩ - ١٩٥٥

- صباغة نهائية -

منشورات دارالآداب - بيروت

طبعة جديدة

١٩٨٨

قصائد اولی

قالت الأرض

[مقاطع]

- ١ -

قالت الأرض في جذوري أبأء
حنين ، وكلُّ نبضي سؤالُ
بيّ جوعٌ إلى الجمال ، ومن صدري
كان الهوى ، وكان الجمالُ

- ٢ -

ما لي اليوم أستفيقُ ، فلا حقلي
نضيرٌ ، ولا تلالي زواهرُ
لا النواطير يسمرون مع النجم
ولا الضوء راتعٌ في المحاجرُ
أنا كنزٌ مخبأً ، أين أبنائي
فكلي صوتٌ ، وكلي حناجرُ.

- ٣ -

رَبُّمَا أَنهَكْتَهُمْ ضَرْبَةً عَمِيَاءُ
فَاسْتَسْلَمُوا لَهَا وَاسْتَلَانُوا
رَبُّمَا أَلْبَسُوا ثِيَاباً سَرَتْ فِيهَا
أَكْفُ الْأَوْثَانِ ، وَالْأَوْثَانُ
رَبُّمَا ... رَبُّمَا ، كَأَنَّ الْحُرُوفَ السُّودَ
صُمِّتَ فِي وَقْعِهَا الْأَذَانُ
فَكَأَنَّ لَمْ أَطْلُعْ عَلَى الْأَرْضِ مِيلَاداً
وَيُخْلَقُ مِنْ صَدْرِي الْإِنْسَانُ .

- ٤ -

قُمْ مَعَ الشَّمْسِ يَا شَبَابِي ، وَحَرِّكَ
عَالِماً غَافِي الْبَصِيرَةِ ، جَامِداً
أَنْتَ عَلَّمْتَهُ الْحَيَاةَ قَدِيماً
وَسَتَبْقَى لَهُ دَلِيلاً وَرَائِدُ .

- ٥ -

أَنَا سَوِيْتُ مِنْ عُرُوقِي أَبْنَائِي
وَرَبُّيْتَهُمْ ذُرِّي وَجِبَالاً
يَتَسَامُونَ فَالْطُمُوحَ مَدَى جَدْبِ

ويحيون في الزمان مثالا
أنا سَوِّيتُ من عروقي أطفالي
وسَوِّيتُ فيهم الأطفالا .

- ٦ -

مَجْدُونِي ، تَفْتَقُوا فِي يَنَائِي
فِيضاً ، وَفِي تَرَابِي رَبِيعَا
وَحِدَةً نَحْنُ ، يَضْحَكُ الْقَلْبُ لِلْقَلْبِ
وَتَسْتَلْهُمُ الضَّلُوعُ الضَّلُوعَا
كَمْ أَقْلُنَا مُعْثَرِينَ حَيَارَى
وَاحْتَرَقْنَا عَلَى الدَّرُوبِ شَمُوعَا
وَمَدَدْنَا لِلظَّامِّينَ نَفُوساً
فُجِّرَتْ فِي حَيَاتِهِمْ يَنْبُوعَا .

- ٧ -

يَا لَتَوَقِي ، يَا عَمَقَهُ ، يُخْلَقُ
الْمَجْهُولُ فِيهِ ، وَتُولَدُ الْأَيَّامُ
يَمْسَحُ الْوَهْمَ عَنْ حَيَاتِي فَلَا
الْإِيْهَامَ يَلْهُو فِيهَا وَلَا الْأَوْهَامَ

بعضِي الفجرُ ، بعضِي النور والحبُّ
فما مرَّ في كياني ظلامٌ
إن أكن نمتُ مرَّةً ، فلأعمّاقِي
دويُّ مجلجلٍ لا ينامُ .

- ٨ -

أَيَّ خَلْقٍ كالسرِّ ، كالعلم ، كالفتح
يفتُضُّ البعيدَ والمجهولاً ..
جُمِّعَ الكلُّ فيه ، فالخلقُ
مضفورٌ على كبريائه إكليلاً .

- ٩ -

حَمَلَتْ فَجَرَهُ بلادي أنباءَ
حياةٍ غَلَابَةٍ وشبابٍ
قُلٌّ لَمَنْ يحضنُ السَّرابَ ويلهو
بفراغٍ مُطرِّزٍ بالسَّرابِ
أشرقَ العالمُ الجديدُ ، وماتتْ
خلفه ، جاهليَّةُ الأحقابِ .

- ١٠ -

يئس الشعب من مغالبة اليأس
ففيه لليأس بابٌ عتيقُ
يتمشَّى في صدره قلقُ جمرُ
وصوتُ مجرَّحٍ مخنوق
جُنُّ فيه السؤالُ ، أين غدُ
يخلق ما شاءه ، وأين الطريقُ ؟
كلُّما همُّ أن يثور على القيد
تولاه خائنٌ أو عقوقُ
ربُّ صبحٍ أفاق فيه فعفى
خائنيه ، إباؤه المستفيقُ .

- ١١ -

لا نواعيرُهُ تدور ، وإن دارت
فبالبؤس والشقاء تدورُ
بيدُرُ يسأل الحصادَ عن القمح
وحقلٌ يذوي وأرضٌ تبورُ
وعلى أنَّةِ العذاب وآه اليُثمِ
تعلو مرابعٌ وقصورُ

تَشْرُبُ الذرى على ضَجّة الويل
وتشكو الى الصّخور الصّخور .

- ١٢ -

في الدروب انتفاضةً الكبر
فَالْخَطُو عليها محقّرُ مردولُ
قَدَمُ تكتب الجريمة والبغي
فخطواتها دَمٌ وقتيل
والقرى صفرةً ، فقد مسح الخضرة
عن وجهها النضير ، الذبولُ
كل بيتٍ فيها ، شفاءً تجمدَنَ ..
فماذا تشكو ، وماذا تقولُ ؟
يُورِقُ اليَيسُ في الصراع ، ويحيا
المَيّتُ فيه ، ويبطل المستحيلُ !

- ١٣ -

ألجبال العتاق والصخر والشاطئ
والزورق المُدِلُّ المغمامرُ
صَرَخَات - مَدَى كَأَنَّ عَلَيْهِ

من جفون التاريخ آلاف ساهر
هي فينا حبّ يسائل عن حبّ
وماضٍ يلفّ بالمجد حاضر
عيشاً، لن تهذّ جلجلة البغي
شفاه ندامة، أو منابر
ليس إلا أن ننسج الحب رايات
وأن نرفع النفوس منائر

- ١٤ -

ها طريق الحياة نحن شققناها
عراكاً وثورةً وجهاداً
نتخطى / عنف الزمان ونلقي
صور العنّف خلفنا أمجاداً
ربّ نور لجان الحياة لشعب
لمحته عين الظلام سواداً .

- ١٥ -

لغة الحق أن نموت مع الحق
انتصاراً أو أن نموت انكساراً

ليس عاراً لنا ، إذا ما نُكِبْنَا
 إنَّ في خفضنا الجِباةَ العارا

- ١٦ -

يا لذلَّ يطوي النفوس وبينها
 عروشاً تننيه ، أو سلطانا
 كم مشت حولنا مواكبها السَّودُ
 جحيماً ، وغلغلت أفعوانا
 أي حقَّ حَنَا الجمال عليه
 لم يصِرْ في ضميرها بهتاناً
 ما لها ، ما لها يُمزِّقها الحقدُ
 جنوناً ، وترتمي خذلانا
 لم يَلِنْ نابُها العتي ، ولكن
 لَمَحَتْ في صدورنا الطوفانا .

- ١٧ -

آنَ يا شعبُ أن تزولَ حياةُ
 تَتِمَادَى قولاً وقيلاً وقالاً
 لا يصير السُّراب حقاً ولا تُعطي

أكف الرمال إلا رمالا .

- ١٨ -

أيها الجيلُ أين كبرك يا جيلُ
فهل ماتَ في هواك الجهادُ ؟
أرضك الأرض لا السنايلَ آفاقُ
تهز الرؤى ولا الحصا
أترى هذكَ العياء وأسلستَ
قياداً ، فجُنَّ فيك القيادُ
كيف تحيا وكلّ أرضك أناتُ
حيارى ، وكلّها أصفادُ
أبن يا جيلُ ، أين كبرك يا جيلُ
فهل ماتَ في هواك الجهادُ

- ١٩ -

ما علينا قهرُ الصعاب ، ولكنْ
علينا أن نقهر المستحيلا
نحن تاريخُنا ونحن ليالٍ
ضحكت في يمينه إزميلا

فَجَرَّ الْكِبَرَ فِي جِوَانِحِنَا زَيْتاً
وَأَلْقَى جِرَاحِنَا قَنْدِيلاً
هَمُّنَا أَنْ نَمَزَّقَ الْحُجُبَ السُّودَ
ضِيَاءً ، وَنَكْشِفَ الْمَجْهُولَا
كَثُفَتْنَا الْحَيَاةُ حَتَّى كَأَنَّ
أَلْفَ جِيلٍ مِنْهَا يَعَانِقُ جَيْلَا .

- ٢٠ -

أَبْدَأُ ، نَخْلُقُ الْوُجُودَ وَنُعْطِيهِ
حَيَاةً ، كَمَا نَرَى وَنَنْشَأُ
قَطَرَتْ فِي أَكْفَنَّا فِلَقُ الصَّخْرِ
عَبِيرًا ، وَاهْتَزَّتِ الصَّحَرَاءُ
قِيلَ : كُنَّا ، فَاخْضَرُّ مِنْ شَعْفٍ
حَلْمُ اللَّيَالِي ، وَاخْضَرَّتِ الْأَشْيَاءُ .

- ٢١ -

مِنْذُ كُنَّا ، كُنَّا طِفْلاً عَلَى الذَّلِّ
وَكُنَّا فِي وَجْهِهِ نُورَا
نَتَخَطَّى عَنَفَ الْحَيَاةِ وَنُلْقِي

خلف خُطَوَاتِنَا الشَّدَى والغارا
فزرعنا عين الوجود جمالاً
وملأنا أعماقه أسراراً
وشمخنا نلفَّ بالعَبَقِ الدنيا
ونبني في جبهة الشمس داراً
سهرت بعدنا النجوم وصارت
لأساطيرِ مجدنا سُماراً .

- ٢٢ -

ذاك مجدافنا يسيرُ إلى الشاطئ
في مهرجانه المفتح
لم تلاميذ شراعهِ رِيشَةُ اليأس
ولا هُزْه ضجيجِ الرِّيح
ما روانا دَفَقُ الجراح ، ففينا
لمداها ، تَلَفَّتْ الملتاح
كلما استَيَّاسَ الكفاح بصدرٍ
جلجلت تستفزُّنا للكفاح .

- ٢٣ -

رَبِّ أُمِّ تَمَدُّ كَفًّا إِلَى الْأَرْضِ
وَكَفًّا لَطْفِهَا الْمَقْرُورِ
لَمَحَتْ فِي صَرَاحِهِ لُغَةُ الْقَهْرِ
وَرُغَبِ الدُّنْيَا وَمَوْتَ الشُّعُورِ
وَرَأَتْ فِي جَبِينِهِ ثُورَةَ الْجُوعِ
وَأَطْيَافَ جَفْنِهَا الْمَذْعُورِ
فَانْحَنَتْ تَأْكُلُ التُّرَابَ وَتَسْتَفُّ
بِقَايَا مَوَائِدِ وَقَشُورِ.
وَعَلَى ثَغْرِهَا رَجَاءٌ : غَدًا تَخْضَرُّ
أَرْضِي ، غَدًا يُضِيءُ سَرِيرِي .

- ٢٤ -

وَعَدًا تَلْعَبُ الطُّفُولَةُ بِالْوَرْدِ
وَتَنْمُو حَقُولُنَا وَتَفِيضُ
يَمَلَأُ الْخَيْرَ أَرْضَنَا ، فَإِذَا الشُّعْبُ
نَمُو ، وَقُوَّةٌ ، وَنَهْوُضُ
وَإِذَا أَرْضُنَا مَنَائِرُ لَا تَخْبُو
وَدَفَقُ مِنَ الشَّدَى لَا يَغِيضُ

لا مُكِبٌّ عَلَى السَّوَالِ وَلَا مُلْقَى
عَلَى شَاسِعِ الدَّرُوبِ مَرِيضُ
كُلِّ فَقْرٍ يَفْنَى ، وَيَفْنَى مَعَ الْفَقْرِ
زَمَانُ جَهَنَّمَ وَكَوْنُ بَغِيضُ.

- ٢٥ -

... فَإِذَا الْكَوْنُ كَوْنُنَا وَإِذَا الدُّنْيَا
شِمَالٌ لِحَبْنِنَا ، وَيَمِينُ
إِنَّ خَلْقَ الْحَيَاةِ صَعْبٌ ، وَلَكِنْ
كُلَّ صَعْبٍ ، إِذَا أَرَدْنَا ، يَهْوُنُ.

- ٢٦ -

أَنَا شَتُّ الزَّمَانِ حُلْمًا عَلَى جَفْنِي
وَصَوْتًا مَجْلَجَلًا فِي شِبَابِي
لِي غَدٌ كُلَّمَا تَلَمَّسَهُ اللَّيْلُ بِيَابِ
أَطْلَ مِنْ أَلْفِ بَابِ
فَتَحَتْ كَفُّهُ دُرُوبِي وَأَرْسَتْهَا
عَلَى التِّيهِ ، دَفْقَةً مِنْ شَهَابِ
أَنَا وَجْهُ الْمَدَى ، فَكُلَّ جَمَالِ

في فؤادي يحيا وفي أهداي
كلما أوماً التراب لأجفاني
تمثلت قوتي في التراب .

- ٢٧ -

لبلادي أنا ، لثورتها الكبرى
لأفاقها الفساح البواسم
لحقول ... مواسم ، تزرع الأرض
ربيعاً ، تكلمي يا مواسم !
ثورة من تفتح الذات لا تطلع
إلا منائراً وملاجم .

- ٢٨ -

أنا فيها الفلاح أزرعها قمحاً
وورداً ، وأقلع الأشواكا
سكتي تنطح الصخور ، وتمشي
في الأحافير ، نشوة وعراكا
وحقولي سنابل تفرع النجم
كأنني زرعت فيها السماكا

قِيَمَ بِاسْمِ أُمِّي .. لست مقطوعاً
ولا . غاصباً ولا ملاكاً
أنا للشَّعب .. أيها الشعب مُجَدِّدٌ
فإنني في كلِّ شيءٍ أراكا .

- ٢٩ -

أنا فيها الراعي .. أطوف وأغنامي
ذراها وغابها ورُباها
لي قلبٌ يُحسُّ خَلَجَ المجاهيل
ويصطاد في البعيد الأها
قلُّ ، يحرس القطيع وينقُضُ
على الرُّعب ، شامخاً تياها
ومعي النَّايُ - جُمعت فيه آفاق
بلادي : شطآنها وقراها
أُطْلِعُ اللَّحْنَ ، لحنها فكائي
واضعٌ بين راحتي إلهها .

- ٣٠ -

كلها في دمي : تراباً وأجواء

وزهرأ ، وصبيّةً وصبايا
 سُويّت من رحابها الخضر أجفاني
 وقُدّت جوانحي ويدايا
 أنا إن متُّ ، لا أموت ، فقد
 رُكّزتُ في جبهة البقاء ، خطايا
 ربّما عشتُ في مزاميرها لحناً
 وغلّغلتُ في ذراها عشايا
 كلّها في دمي ، وكلّي فيها :
 صبيّةٌ يعشقونها وصبايا .

- ٣١ -

أنا دربي طويلةً كغذٍ يُقبِلُ
 كالكون ، في مداه الطويل
 أنا دربي خضراء ، لوّنها قلبي
 وغطّى جراحها تقبيلي
 أنا دربي وثبّ على الموت خطافُ
 وغدّ في المغلق المجهول
 أنا جيلٌ في أمتي ، وأنا فردٌ
 من الجيل ، بل أنا كلّ جيل

أينما كنت ، كنت في صدرها أحيا
وفي روحها الكبير الأصيل .

- ٣٢ -

أنا جرحٌ مُضْمَخٌ بالبطولات
وضوءٌ على الذرى مرشوقُ
أنا لي مشرقُ النجوم ومرساها
ولي أفقُها الفسيح العميق
ولي البحرُ ؛ شمسُهُ ودياجيه
ولغزٌ في جانحيه عتيق
أنا لي أمتي : جمالٌ وتاريخُ
ولي أرضها : غدٌ وطريق
لست وحدي ، فكلُّها كلُّ ما
فيها ، نداءٌ يضمّني ورفيقُ .

- ٣٣ -

أنا فيضٌ من أمتي وعتيقُ
مرٌّ في كونها العتيق الجديد
مطلقٌ في كيائها ، فأنا فيها

كَيْبَانُ طَلَّقَ بِغَيْرِ حُدُودٍ
كَلَّ فَرْدٍ فِيهَا أَحْسُ كَأَنَّ
جُمُعَ فِيهِ صَدْرِي ، وَسَالُ وَرِيدِي
إِنَّ فِي الْغَيْرِ بَعْضَ نَفْسِي ، وَفِي
الْآخِرِ ، شَرْطاً وَمَنْبَعاً لَوْجُودِي .

- ٣٤ -

أَنَا لِي نَبْضَةُ الْمَلَائِكِينَ فِي شَعْبِي
وَلِي هَذِهِ السَّهُولُ الْفَسَاحُ
لِي آهَاتُ أُمَّتِي وَأَمَانِيهَا
وَلِي كَبْرِيَاؤُهَا وَالْجِرَاحُ
أَنَا وَرَدُّ فِي هَذِهِ الْأَرْضِ نَمَامُ
وِعْطَرُ مِنْ أُمَّتِي فَوَاحُ .

- ٣٥ -

أَنَّ لِي أَنْ أُسَلِّ نَفْسِي
مِنْ لَيْلٍ أَلْفٍ ، وَمِنْ صَبَاحٍ مُعَادٍ
أَنَّ لِي أَنْ أَكُونَ نَفْسِي ، أَنْ أَحْيَا
وَجُودِي ، وَأُمَّتِي وَبِلَادِي

وأردُّ التاريخ شهقة جوعٍ
تتغلَّى من قبضتي وفؤادي.

- ٣٦ -

من هنا ، من بلادنا ، نحن أقلعنا
شراعاً ، وموجةً ، وليالي
ومشينا حرفاً على صفحة القلب
وحرفاً على شفاء السؤال
زرعت كبرياؤنا صور الحب
وروداً وسوسناً ودوالي
وملأنا عين الزمان ، فما تبصرُ
إلا كواكباً ولآلي
فإذا نحن لهفة القلب للقلب
وإرثُ الأجيال للأجيال .

- ٣٧ -

ها بلادي ، كأنَّ بغدادَ صارت
من دُرى الشَّامِ ، أو غدت لبنانا
نحن شئنا الدنيا جمالاً وحقاً

وخلقنا للعالم الإنسانا

- ٣٨ -

من رأى الشمس تستفيق مع الشَّعْبِ
وتشتاقه مدى وضياء؟
من رآها تنكب ظمأى على أرض
بلادي : صخرأ وظلاً وماء؟
آن يا شمس أن انغرَّب في الأرض
ونُلقي عن صدرها الأعباء
عرفتُنا مراكباً تقهر الموج
وفأساً خلّاقة خضراء
ورأتنا نسير فيها أساطير
ونحيا في قلبها أنبياء .

- ٣٩ -

ها رجعنا لِلْكَشْفِ : تُشْرِ آفاقُ
عُصُورٍ، وَتَنْطَوِي آفاقُ
سُفُنْ تقحم العباب .. ففي اللج
نوي مغامرٌ، خلاقُ

بعضها سندية ، بعضها أرز
وبعض مغامرون رفاق
تتغنى بنا الشواطىء ، فاللحن
شموخ ونشوة وانعتاق
كلما فُض مغلّق في مداها
جذبتنا الأبعاد والأعماق ...

(١٩٤٩ - ١٩٥٠)

قصائد إلى الموت

حب

يُحَبِّنِي الطَّرِيقُ وَالْبَيْتُ
وَجَرَّةٌ فِي الْبَيْتِ حَمْرَاءُ
يَعِشْقُهَا الْمَاءُ

يَحَبِّنِي الْجَارُ
وَالْحَقْلُ وَالْبِيدَرُ وَالنَّارُ

تَحَبِّنِي سَوَاعِدُ تَكْدَحُ
تَفْرَحُ بِالدُّنْيَا ، وَلَا تَفْرَحُ
وَمِزْقٌ مَثْوَرَةٌ مِنْ أَخِي
مِنْ صَدْرِهِ الْمَرْتَخِي
يَخْبِئُهَا السَّبِيلُ وَالْمَوْسِمُ
عَقِيقَةٌ يَخْجُلُ مِنْهَا الدَّمُ

كان إله الحب مُذْ كنتُ -
ما يفعل الحب ، إذا متَّ ؟

أسرار

يضمّنا الموت إلى صدره
مُغَامِرًا ، زَاهِدًا
يحملنا سِرًّا على سرّه
يجعل من كثرتنا واحدًا .

الشمس

ما أغمضتُ عيناي إلا على
حلمٍ يسيرُ الموتُ في سيره
ينام في الظلمة مُستغرقاً
ويُطلع الشمس على غيره .

الموت

(مرثيتان إلى أبي)

- ١ -

أبي غدٌ يخطر في بيتنا
شمساً وفوق البيت يعلو سحاب
أحبه سرّاً عصياً دفين
وجهةً مغمورةً بالتراب
أحبه صدراً رميماً ، وطنين .

- ٢ -

على بيتنا ، كان يشهق صمتٌ ويكي سكون
لأنَّ أبي مات ، أجذبَ حقلٌ وماتت سنونو .

أعنيَتان للموت

- ١ -

كَأَنَّهُ الموتُ إِذَا مَرَّ بِي
يَخْنُقُهُ الصَّمْتُ ،
كَأَنَّهُ يَنَامُ إِن نَمْتُ .

- ٢ -

يَا يَدَ الموتِ أَطِيلِي حَبْلَ دري
خَطَفَ المَجْهُولُ قَلْبِي ؛
يَا يَدَ الموتِ أَطِيلِي
عَلَّنِي أَكْشِفْ كُنْهَ المَسْتَحِيلِ
وَأَرَى العَالَمَ قُرْبِي .

اغنيات الحب

- ١ -

قالوا : مشت ، فالحقل ، من ولّيه
 متلبك ، والقمح يكتنز
 بُعث التناغم عبر خطوتها
 والهيدبي والوخد والرجز
 تُومي فيلتفت الصباح لها
 من لهفة ، ويتغنى العنز
 ما الوشم ؟ ما الخرز ؟
 ما الأقدمون السمر ؟ لم يلجوا
 لغزاً ، ولا اكتنوها ولا رمزوا ،
 لفتاتها تخز
 وجفونها وتر وأغنية
 صيفية ، وقمصها كرز .

- ٢ -

قال لي ، الآن ، صدي منك :
« لا عمرَ للسرّ الذي يحكي
عني أو عنك » .

- ٣ -

أحسك في غريزة كشف
فأربط ذق الثواني بقلبي ، وأعرف ما سيكون ، بلهفي

- ٤ -

نُعرف كيف تعشق الفصولُ
نُعرف أيّ لغة تقولُ -
يا جهلها ، - الرياحُ والحقولُ .

- ٥ -

لا ، لا أخافُ -
لك ما سيَتكرُّ اعترافُ .

بين عينيك وبينني

حينما أُغرقُ في عينيكِ عيني ،
ألمح الفجر العميقا
وأرى الأمل العتيقا
وأرى ما لست أدري ،
وأحسّ الكون يجري
بين عينيكِ وبينني .

بيت الحب

(مقاطع)

أحبك ، حتى كأن الحياة ابتكارٌ لحبي .
أحبك ، والضوء في ناظريك انزوى وانغمر
وشعرك شلالٌ تلج على كتفك انهمر .
كأنني أجرّ ورائي السنين وأستنفد
وحولي في بيتنا سريرك والمقعد
ومعطفك الأسود
ونارك والموقد .

سألتك ، خليه ، خلي سراجك يستسلم
ويدفنه المخبأ المظلم ،

وقولي لعينيك ان تُغمضا
أنا ، الآن ، فجرٌ طويلٌ طويلٌ
تكاد تقول الثواني : مضى .

(١٥ شباط ١٩٥٤)

يقولون اني انتهيت

يقولون إني انتهيتُ
ولم يبق في مهجتي
سراجٌ ، ولم يبق زيتُ .
أمرَ على الورد ، ما همَّه
ضحكتُ له أو بكيتُ ؟
وللورد في ناظري
وفي خاطري
صباحٌ محوَّت به وَاَمْحِثُ .
أحبُّ أنا ، كم أحبُّ جمالي
وأعبد فيه ضلالي
فيا ما هديتُ به واهتديتُ .
ظمئتُ ، متى يا دمي ، يا شبابي
تقول ، ارتويتُ ؟

ظمئت إلى موعد
وقفتُ عليه غدي .
ظمئت لقلب فسيحٍ عميقٍ
أفجره شعلاً في طريقي
وأخزنه في عروقي
واتركه بين حيٍّ وميتٍ ،
ظمئتُ ، متى يا دمي يا شبابي
تقولُ ارتويتُ ؟

يقولون إني انتهيتُ
ولي الأرضُ ، لي زهوها ، ولي كبرها
تجرّحني راحتها ويعبدني صدرها
إذا شوكها عافني تخطفني زهرها .

يقولون إني انتهيتُ
ولي الأعصرُ
إذا جئت في بالها تسكرُ .
يقولون إني انتهيتُ
وفي كل دربٍ
يُصفّق لي ألف قلبٍ
ويضحك ظلٌ وبيتٌ .

شربتُ أنا كل قلب ،
شربت ، كأنني انتشيت ،
وقلتُ انجيل
يا وجودي ، وكن ما اشتهيت .

(دمشق ١٩٥٤/٧/٧)

حدود اليأس

يأس

ماشٍ على أجفانه سادراً
يجرّه مديدُ آهاته
تلطمه الحيرة أنى مشى
كانها سُكنى لخطواته .
عُلّق بالغيب فاجفأه
رمليةُ الأفق
كأنما ، من يأسه ، شمسهُ
تغيّب في الشرق .

أغنية إلى الطفولة

[مقاطع]

في السرير القَلِق الدافئ حُبٌ
يستفيقُ ،
هو للناس ترائيلُ ، وللشمس طريقُ .
للطفولة «
تُشرق الشمس خجوله ؛
في خطاها يصغر الكون الكبيرُ ،
ويضيق الأبدُ ،
فلها الأرض غطاءً سَرمُدُ ،
ولها الدنيا سريرُ .
أنا بالأمس ، لي الآهاتُ يَبْتُ
ولي الفقر سراجُ والدمُ النَّازفُ زيتُ .
كنتُ كالظلِّ ، كما دار به الفقر يدورُ
قدّمي ليلٌ وأجفائي نورُ .
يا طفولة ،

يا ربيعَ الزمن الشيخ وآذار الحياة ،
وهوى ماضٍ وآتٍ ،
في غدٍ ، أنت صراعٌ لا يُحَدّ ،
وطموحٌ لا يُرَدُّ .
وغداً أنت ميادين بطوله
تُنشئ الكون وتُبدي وتعيد ،
فيغنيك الكفاحُ
وتغنيك الجراحُ ،
ويغنيك الدّم البكر الحديدُ

يا طفوله
يا هوى ماضٍ وآتٍ
يا ربيعَ الزمن الشيخ وآذار الحياة .

بيت

حِكَايَةُ الْأَشْبَاحِ فِي بَيْتِنَا
بَعْدُ ، عَلَى شَفَاهِنَا نَحْطُرُ ،
يُخْبِثُهَا الْمِحْرَاثُ وَالْبِيدْرُ ؛
فِيهِ تَنَوَّرْنَا مَسَافَاتِنَا
فِيهِ حَلَمْنَا بِالْمَجَاهِيلِ -
نَقْفُزُ مِنْ كَوْنٍ إِلَى آخَرٍ
نَظِيرُ مِنْ جِيلٍ إِلَى جِيلٍ .

حيرة

ينشر عينيه ويطويهما
حيران ، لا يغفو ولا يستفيق
كأنما يفرُّ من نفسه
كأنما تجفُّلُ منه الطريق .

المشردون

في أول العام الجديد
قالت لنا ،
آهاتنا ، قالت لنا ،
شدّوا الرّحال إلى بعيد ،
أو فاسكنوا خيمَ الجليل
فبلادكم ليست هنا .
نحن الذين على الدّخيل تمرّدوا ،
فتهدّموا وتشرّدوا
أكل الفراغ نداءنا ،
ومشى الأمام وراءنا
آيأنا جمدت على أشلائنا ،
وتقلّصت كدمائنا
صارت تعيشُ على الثواني ،
صارت تدور بلا زمان .
متشتّتون ، مضيعون على الدروبِ

صَفَرَ السَّوَاعِدَ وَالْقُلُوبَ
وَالْجُوعَ كُلُّ نَدَائِنَا ،
وَالرَّيْحَ بَعْضُ غِطَائِنَا
حَتَّى الصَّبَاحَ يَفِرُّ مِنْ آفَاقِنَا ،
وَيَغِيضُ فِي أَحْدَاقِنَا
أَقْلُوبَنَا ، رَفَقًا بِنَا ، لَا تَهْرَبِي
وَتَقْحَمِي عَنَفَ الْمَصِيرِ
فِي الْجُوعِ ، فِي الْيَأْسِ الْمَرِيرِ ،
وَهُنَا ، عَلَى هَذَا التَّرَابِ ، تَتَرَّبِي
فَغَدًا ، يُقَالُ :
مِنْ أَرْضِنَا طَلَعَ النُّضَالُ
وَنَمَا عَلَى أَشْلَائِنَا
وَنَدَائِنَا
وَعَلَى تَلَفَّتِنَا الْبَعِيدِ
لِغَدٍ جَدِيدٍ .

قصائد لا تنتهي

هوى ريشتي

أَمْسِ ، عَلَى أَرْضَيْنِ مَخْضَرَتَيْنِ
كُتِبَتْ أَشْعَارِي فِي لَحْظَتَيْنِ
وَشْتَهَا ، عَلَى هَوَى رِيشْتِي ،
هَنَا سَنُونُو ، وَهَنَا بَرَعَمِينُ ...

فجر

شمسك في مفاصلي
كالثلج ، كالخريق
يا قللاً يولد في طريقي
يا فجر ، يا رفيقي .



في مهجتي تحيا معي قصةُ
أولها أبعدُ من أن يبينَ
أشْمُ فيها من رُبِّ موطني
رائحةُ التفاح والياسمينِ
كأنما حروفها فُجّرت
من جَبَلٍ صخِرٍ وماءٍ معينٍ .
يا قصةُ تسير بي درُجها
إلى فضاء الزّمنِ الأولِ ،
ما أنتِ إلا حلمٌ مبدعُ
لِلزّمنِ المُقبلِ ،
تهدرُ في صدري أسرارهُ
يَينُ لي فيه الذي لا يَينُ .

أمطار

يُمسِكُ بالمحراث في صدره
غيمٌ وفي كفيه أمطارٌ ،
محرثه يفتح أبوابه
للممكن الأغنى ،
يُبعثر الفجر على حقله
يُعطي له معنى .

أمس رأيناه وفي دربه
من عرق النهار فوارٌ ،
يعود للراحة ، في صدره
غيمٌ وفي كفيه أمطارٌ .

العبادة

في بيتنا عبادة
فصلها عمرُ أبي
خيطها بالتعب .

تقولي لي - كنتَ على حصيره
كالغصن المنجرد
وكنْتَ في ضميره
غَد الغد .

في بيتنا عبادة
مرميّة ، مبعثره
تشدني لسقفه
لطينه للحجره
المح في ثقبها
ذراعه المحتضنه
وقلبه ولهفة في قلبه مُستوطنه
تحرسني تلفني تملأ دربي أدعيه
تتركني شبابةً وغابةً وأغنيه .

أُفْقِي وَعْد ...

عابرٌ أحمل آلامي وبني
ظمأ الرمل وفي خطوي بحارُ
يا هوى ضييعني ، مرٌّ على
حيرتي ، مرٌّ على شطآنها
وسل الأصداف عن كُهانها
أي سرٍّ لي في أعماقيها
أي حلمٍ لي في أجفانيها ؟
هي في صدري تراتيلُ غدٍ
وبُخورٌ مُذهبُ النار ، ونارُ -
من أنا ، أي هوى أحيا له ؟
أُفْقِي وعدٌ وعيناي انتظارٌ .

شرق الجمال

كُلُّمَا مَرٌّ بِيَالِي
أَنْ أَرَى شَرْقَ الْجَمَالِ
وَدَعَانِي الشَّفَقُ ،
تَمْحِي ، عِبْرَ خُطَايَ ، الطَّرُقُ .

قلق

يا ظُلمةً في أفقي
يا قلقي ،
شدُّ على تجدي ومزقي
واعصف به وخرقي ،
لعلَّ في رماده
أبتكرُ الفجرَ النقي .

في عتمة الأشياء.

في عَتْمَةِ الأشياء في سرّها
أحبُّ أن أبقى
أحبُّ أن أستبطنَ الخَلْقَا
أحبُّ أن أشرَدَ كالظنِّ
كغربة الفنِّ
كالمبهم الغُفْلِ وغير الأكيدِ -
أولّدُ في كلِّ غدٍ من جديدٍ .

سيرة

أمشي وتمشي خلفي الأنجمُ
إلى غد الأنجمِ
والسرُّ ، والموتُ وما يُولَدُ
والتَّعبُ المفردُ
تُميتُ خُطواتي وتُحيي دمي .
أنا الذي لم تبتدئْ دربهُ
بعدُ ، ولم يُرصدْ له مِنجَمُ -
أمشي إلى ذاتي
إلى الغد الآتي ،
أمشي وتمشي خلفي الأنجمُ .

المخاض

لَمَنْ يَفْتَحُ الْفَجْرُ شُبَّاكَ عَيْنِي
وَيَحْفَرُ فَوْقَ ضُلُوعِي طَرِيقَهُ
لَمْ الْمَوْتُ يَنْبُضْ مِثْلَ كِيَانِي
وَيَرْبِطُ عُثْمُرِي بِخَفَقِ الثَّوَانِي ؟
عَرَفْتُ ، دَمِي رَجِمَ لِلزَّمَانِ
وَفِي شَفَتِي نَخَاضُ الْحَقِيقَةِ .

وحدة

وَحْدَ بِي الْكَوْنُ فَاجْفَانُهُ
تَلْبَسُ أَجْفَانِي ؛
وَحْدَ بِي الْكَوْنُ ، بَحْرِي
فَأَيْنَا يَتَكَرَّرُ الثَّانِي ؟ .

رؤى

[مقاطع]

لِليالي فينا غَدٌ ونجومٌ ؛
طَرَفَ حُبِّنا لكلِّ سماءٍ
ومدى لا نحده ، ونخومُ .
للسَّوى ، للزَّمان نصنع للأفق دروباً ، وللتراب رداءً
ونسوي لكلِّ أرضٍ سماءً
يا رؤانا للنَّاس والأرضِ - عينُ الأرضِ تاهتْ
فَغَيَّرَ الأشياءُ . . .

الثلج والدخان

[مقاطع]

قَضِيبٌ مِنَ الثَّلَجِ : نَارٌ وَتَبَغٌ
وغيْمٌ دخانٍ
عوالمٌ لا تنتهي - وهي تفتى
يبضع ثوابي .
أَوْ شَوْشُهُ كُلِّ مَا بَيَ : ظَنِّي وَحُلْمِي
وما ليس تجرؤ أن تتحدّث عنه دموعي
أغاليه ، وأنا في غِلَابِي أغنى وأقوى
فأسقط في راحتيه وعند خُطاه الخفيّة عضواً فعضوا ،
وأعشقه كالْفَجَاءَةِ ، بغتة
بهمسٍ ، بلفظه
لمحتُ وجودي يدبّ إليه
على شفّتي ، على شفّتيه ،
فلي في الدُّخَانِ
تَمِي وزماني ...

الحرب

[مقاطع]

في الحجر التائه لونُ القلقِ

لون خيالٍ سرّى ، -

مَنْ ، يا ترى ،

مرّ هنا واحترق .

يجلو لخطوي اللهبُ الأحمرُ

يجلو له المجدُ

وكَلِّها طال به البعدُ

يعلو ويستكبرُ ،

وكَلِّها قلتُ لدربي : تُرى

إلى متى عبءُ السرى والسرى

متى أرى المشتهى

وأبلغُ المتهى

وأهدأ ؟

قالت لي الدربُ : هنا أبدأ .

عرافة

[مقاطع]

حاجبها كجرسٍ يرنُ
ملأتهُ بغنيي

بواقعي وريبي
بكلِّ ما أكنُ .

تنظرُ ، فالأحاجي
تُضيء كالسراج ؛
كانها تعلقتْ

بهذبِ الزمانِ
فهي مع الصباحِ
والغيم والرياحِ
والصعب والمتاح ،
عقدة كلِّ آنٍ .

تمسك لي أصابعي وتُحِدقُ
وتُطرقُ
وتليجُ الكهوبا

وتنبشُ الحروفا -
ألا اضحكي ، ألا أنبسي
ألا اقمسي ، -
هذي يدي - خذي يدي
خُذي غدي
وفسري واجتهدي
ووشوشيني واخذري
أن تجهري ...

أبعاد غامضة

كلُّما لُتْ يدي أشياءها
وانحنّت كالسَّنبِلِ
كمديّ لم يتجلّ ،
مرّ بي ضوءٌ حريريّ الخطى
شائكُ الدَّربِ ، ناداني سكُونُ -
وأنا بقيّ في وجه الضّحى
زَهْرَةٌ شاخَتْ ومنقارُ سنونو .

حجر الضوء

على حَجَرِ الضَّوِّءِ أنقش عُمرِي
وديعاً كحَبَّةِ قَمْحٍ ؛
يُغَطِّي حُرُوفِي ضَبَابٌ
وفي كَلِمَاتِي عِثْمَةٌ .
لأنِّي حُبٌّ ،
أظَلُّ على الضَّوِّءِ أبْنِي ، وتَبْنِي
مَعِيَ حُفْنَةً من حَيَاتِي وَلُقْمَةً .

أرض بلادي

أرض بلادي . . . كنتُ في وعيها
وكنْتُ نجواها وأعماقها ،
أبدؤها ، أعيدُها في دمي
وفي فمي
براعماً ، أوديةً ، أحجراً ،
أنقلها للورى ،
رسالةً تُريه ما لا يُرى .
أرض بلادي قصّةٌ لم تزل
تقلبُ كفُّ الكون أوراقها ،
تحمّلُها الشَّمسُ ، فإن أُغِلِّقْتُ
آفاقُها ، تفتحُ آفاقُها . .
خلاقتي ، فأَيُّ شيءٍ أنا
إن لم أكن بالحبِّ خلاقها .

الغد

متى أرى : لي مشرقُ جامعٍ
يبتكر الشمس ، ولي مغربُ
متى أرى ، والكون لي ملعبُ
والحبّ والعزّة لي ساعدان ؛
قلبي للثورة مستنفرُ
دقائقه صارت زمانَ الزّمان .

يَقِين

آمنَ قلبي بأناشيده
بموطني : بالسُّرُ والياسمين ،
بكلِّ ما فيه ، بكل الذي
كُؤن من ماءٍ وناٍ وطين ،
بأمّتي . . . يولدُ في صدرها
تلقتُ الدنيا وحلمُ السنين .

ما في دمي غير اِرتياداتها
مفتوحةً كالأرض ، مبسوطةً
على الغد الآتي ، على العالمين ،
ما في شراييني غيرُ اليقين .

مستقبل الحرية

غداً ، عندما بلادي تغني :
« أنا الحبُّ يُؤثِّر عني
بوجهي محوُّ السَّوادا
وصرت لكلِّ بلادٍ بلادا -
فلم يبق في أرضنا ظلامٌ ولم يبق شرٌّ » ، -
فقل أنا حُرٌّ ، وقل أنت حُرٌّ .

الجدجد

... ويقولون إنني لست كالغير أعبدُ
ليس في جبهتي حصيرٌ وركنٌ ومسجدُ
ويقولون : تائهٌ ويقولون : جدجدُ
وتساءلتُ - هل تبخرُ في وجهي الغدُ ؟
وتذكّرتُ أنني كنتُ للشمس أنشدُ -
أنا في الشمس تائهٌ أنا للشمس جدجدُ .

مواعيد

للهيكل القاذف أنشودني
في أبد المسير ، تمجيدي
كلّ طريقي سفر دائم
وفي المجاهيل مواعيدي .

الأشياء

فيا تنام الأشياء حولي ،
تَهْمَسُ لي بِأَسْمِهَا ، وفيما
تَمْنَحُنِي الحُلْمَ والأخْوَه ،
ترسمُ لي أغنيتي
بلهيبِ النبؤه .

رجاء

يا شِعْرُ هَبَّهْ أَنْ يَغْنِيَّ مَعَ الْيَأْسِ
وَيَعْتَادَ عَلَى النَّهَارِ ،
أَطْفَاتِ الْبَذُورُ فِي أَرْضِهِ
شَمُوعَهَا ، وَاحْتَرَقَتْ عَشْتَارُ .

عند نجمين

كلُّ بُرْهَةٍ
يفسل المجهول وجهه
بصلاقي
بينابيع حياتي .
عند نجمين على مشرق شعبي
عند قلبي ،
يُنْجِيءُ العالم كُنْهَهُ .

طوبه وطيبة

كان في مثل طُلعة الصبح -
عيناه اكتشاف ووجهه تسبيح
خلجت مرّة يداه ، فمرّت
غيمة واتّحت مع الغيم ريح .

حنين

فِي حَنِينٍ هُوَ غَيْرُ الْحَنِينِ
غَيْرِ الَّذِي يَمْلَأُ صَدْرَ السَّنِينِ ؟
تَقْتَرِبُ الْأَشْيَاءُ مِنْهُ كَأَنَّهُ
لَا تَعْرِفُ الْأَشْيَاءُ إِلَّاهُ
تَقُولُ - مَا شُيِّتَ لَوْلَاهُ ؛
كَأَنَّهُ أَكْبَرُ مِنْ حَالِهِ
يَعْلُو وَيَمْتَدُّ وَلَا يَرْضَى
يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَ مِنْ نَفْسِهِ
وَيَحْضَنَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَا .

دروب

أمسي غَدُ والكونُ ترتيلةُ
تذوبُ ، - في وجهي وحيي تذوبُ ؛
يولد في عيني معنى الضحى
تبدأ من نفسي كلّ الدروب

الكاهنة

في جبهتي كاهنة أشعلت
بخورها واشترسلت تحلمُ
كأنما جفونها منجمٌ .
كاهنة الأجيال ، قولي لنا
شيئاً عن الله الذي يُولدُ
قولي - أفي عينيه ما يُعبدُ ؟

أعيش مع الضوء

أعيش مع الضوء عُمرِي عبيرُ
يمرّ ، وثانيتي سنواتُ
وأعشق ترتيلةً في بلادِي
تَنَاقَلُها كالصباح الرعاةُ ؛
رموها على الشمس قطعةً فجرٍ نقيّ
وصلّوا عليها وماتوا -
إذا ضحك الموت في شفّيتك
بكت ، من حنينِ اليك ، الحياةُ .

فهرست القصائد

٧	قالت الأرض
	قصائد الى الموت
٣١	حب
٣٣	أسرار
٣٤	الشمس
٣٥	الموت
٣٦	اغنيتان للموت
	اغنيات للحب
٣٩	اوراق
٤١	بين عينيك وبينى
٤٢	بيت الحب
٤٣	يقولون اني انتهيت
	حدود اليأس
٤٩	يأس
٥٠	أغنية الى الطفولة

٥٢	بيت
٥٣	حيرة
٥٤	المشردون
	قصائد لا تنتهي
٥٩	هوى ريشتي
٦٠	فجر
٦١	حلم
٦٢	أمطار
٦٣	العباءة
٦٤	أفقي وعد
٦٥	شرق الجمال
٦٦	يا، قلقي
٦٧	في عتمة الاشياء
٦٨	مسيرة
٦٩	المخاض
٧٠	وحلة
٧١	رؤى
٧٢	الثلج والدخان
٧٣	الدرب
٧٤	عرافة
٧٦	أبعاد غامضة

General Organization of the Alexandria Library ١٩٨٨

٧٧	حجر الضوء
٧٨	ارض بلادي
٧٩	الغد
٨٠	يقين
٨١	مستقبل الحرية
٨٢	الجدجد
٨٣	مواعيد
٨٤	الأشياء
٨٥	رجاء
٨٦	عند نجمين
٨٧	صورة وصفية
٨٨	حزين
٨٩	دروب
٩٠	الكاهنة
٩١	أعيش مع الضوء

من منشورات دار الآداب

مجموعات الشاعر

- قصائد أولى، الطبعة الأولى ١٩٥٧.
- أوراق في الريح، الطبعة الأولى ١٩٥٨.
- أغاني مهيار الدمشقي، الطبعة الأولى ١٩٦١.
- كتاب التحولات والهجرة في أقاليم النهار والليل، الطبعة الأولى، ١٩٦٥.
- المسرح والمرايا، الطبعة الأولى، ١٩٦٨.
- هذا هو اسمي (وقت بين الرماد والورد)، الطبعة الأولى ١٩٧١.
- مفرد بصيغة الجمع، الطبعة الأولى ١٩٧٥.
- المطابقات والأوائل، الطبعة الأولى ١٩٨٠.
- كتاب الحصار، الطبعة الأولى ١٩٨٥.
- احتفاء بالأشياء الغامضة الواضحة، الطبعة الأولى ١٩٨٨.

716



دار الآداب

هاتف ٨٠٣٧٧٨ - ٨٦١٦٣٣

ص. ب ٤١٢٣ - ١١ بيروت

تصميم الغلاف ناصر عاصي

لوحة الغلاف للفنان حمودة عبد الرزاق